مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 15 العدد: 02 السنة 2023 ص 916 - 934

تاريخ الإرسال: 2022/12/01 تاريخ القبول: 2023/02/03
تاريخ النشر: 2023/06/03

إستراتيجية الإتحاد الأوروبي على ضوء مسار برشلونة: الإتحاد من أجل المتوسّط

The European Union's strategy in the light of the Barcelona Process: Union for the Mediterranean

مصطفى كراوة، Mustapha Kraoua
جامعة تامنغست، (الجزائر)، kraouamustapha@univ-tam.dz

الملخص:

تسعى الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على أحد أبرز القضايا بمنطقة الحوض المتوسّطي، والمتمثلة في فكرة الإتحاد المتوسّطي أو الإتحاد من أجل المتوسّط، منذ صيغتها الأولية التي طرحها الرئيس الفرنسي الأسبق نيكولا ساركوزي في فترة ترأّس فرنسا للإتحاد الأوروبي منذ بداية شهر جويلية 2008 وانعقاد قمة باريس، وكذا تبيان أن أهم العقبات التي مازالت تواجه المبادرات المتوسّطية هي قضية الصراع العربي – الصهيوني، حيث تبقى المنطقة في انتظار تطبيق وتجسيد برنامج جدي وحقيقي لتحقيق الغرض المنشود من المبادرة، وقد توصّلت الدراسة إلى أنه يجب البحث عن مواضع الخلل وأسباب العجز والفشل لمعالجتها من أجل إقرار السلم والإستقرار في الإقليم المتوسّطي.

الكلمات المفتاحية: الإتحاد من أجل المتوسّط، مسار برشلونة، الإتحاد الأوروبي، الشراكة الأورومتوسّطية.

Abstract:

This research paper aims toward highlighting one of the most prominent cases in the Mediterranean basin; that of the Euro - Mediterranean Partnership, Starting from its first drafts proposed by the former French president Nicolas Sarkozy during his presidency from early July 2008, and the holding of the Paris Summit, Also, presenting the main hurdles that are still facing the initiatives from all parties including the Arabic - Zonists conflict, The Area is awaiting a real application and a serious program from the Barcelona Process initiative for its final anticipated goal, Thus, the study concluded that there must be strong effort in locating weak spots and shortcomings which can lead toward failure, so they can be treated properly for peace and stability in Mediterranean basin.

Key words: Union for the Mediterranean, The Barcelona Process, The European Union, The Euro - Mediterranean Partnership.

المؤلف المرسل: مصطفى كراوة، الإيميل: **kraouamustapha@univ-tam.dz**

1. مقدمة:

تعتبر الأورومتوسّطية أو العلاقات الأرومتوسّطية من القضايا والمسائل الهامة التي استحوذت على قدر كبير من الإهتمام من ضفتي البحر الأبيض المتوسّط الشمالية والجنوبية بل وحتى من قلب القارة الأوروبية، وقد امتدّ الحوار المتوسّطي من روما إلى مرسيليا إلى برشلونة على التوالي، وقد تمّ طرح مبادرات وأفكار عديدة في هذا السياق، وهكذا فمع موجة التغيّرات والأحداث على الساحتين الإقليمية والدولية حيث تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية هي المحرك الأساسي لمعظمها فقد أصبح من الواجب أن تؤثّر هذه الظاهرة أو هذا العامل على الفكرة الأورومتوسّطية،

وكذا على مستقبل وطبيعة العلاقات بين ضفتي المتوسّط بصفة عامة، ومن الدلائل على ذلك طرح مشروع الشرق الأوسط الكبير من طرف مجموعة الثمانية (08)، حيث تعتبر أوروبا الموحدة من الشركاء الأساسيين فيه، ويبرز هذا الموضوع عدة إشكاليات باعتباره ظاهرة سياسية واجتماعية ذات أبعاد متعدّدة لعل أهمها:

– هل العلاقات بين ضفتي البحر الأبيض المتوسّط بعد الحرب الباردة هي علاقات تعاونية أم صراعية؟

– ما هو محتوى وطبيعة المشاريع والمبادرات الجيوستراتيجية لأوروبا، وما هي الدول والأطراف المعنية بهذه المبادرات؟

– ما هو مستقبل وآفاق المشاريع والمبادرات في الحوض المتوسّطي، وماهي العقبات التي تعترضها؟

وتتمثل الأهداف الرئيسية لدراسة هذا الموضوع في النقاط التالية:

– إبراز طبيعة العلاقات الأورومتوسطية وأهميتها على الساحة الاإقليمية والدولية؛

– تبيان المتغيرات والعوامل التي تحكم العلاقات الأورومتوسطية على ضوء المشاريع والمبادرات الأوروبية؛

– دراسة كل المشاريع والمبادرات التي ساهمت في التمهيد والتأسيس لمسار برشلونة وتقييمه، والبحث عن سبل إنعاش روحه.

2. نشأة فكرة الإتحاد المتوسّطي:

إن فكرة تأسيس اتحاد متوسّطي ليست وليدة اليوم بل تعود إلى ما يقارب حوالي قرن من الزمن بحيث وجدت في التاريخ العديد من المؤمنين بها والمدافعين بشدة عنها، كمثل الثنائي الفرنسي – الإيطالي: "**فالونتين دو سان بوان**" "**Valentine de saint point**" و"**ريسيوتو كانيدو**" "**Ricciotto - Canudo**" الذين ناديا بفكرة تأسيس مشروع "**كونفدرالية متوسّطية**" في سنة: **1907**، ثم جاءت

بعد ذلك حفيدة الكاتب والشاعر "**لامارتين**" "**Lamartine**" بفكرة إنشاء "**الفدرالية الروحية للأنتيليجنسيا المتوسّطية**"، وأما في سنة **1920** فقد عرض "**كانيدو**" مجموعة من المحاضرات حول: "**الفكرة والنشاط المتوسّطي**" وطوّرت "**فالونتين دو سان بوان**" بدورها الفكرة بعد أن استقرّت في إيطاليا سنة: **1921** تحت تسمية: "**مدرسة النخب**" أو "**تكوين الفكر المتوسّطي**"، وكان المقصود من هذه الفكرة هو تشارك الشرق والغرب في: "**إعداد الحضارة المتوسّطية المستقبلية**" إلا أن روّاد الفكرة المتوسّطية كل من "**فالونتين دو سان بوان**" و "**ريسيوتو كانيدو**" كانا قد فشلا في إقناع العالم بفكرتهما السابقة لعهدها ويئسا من تحقيقها، فقد مات جزء من هذه الفكرة مع **ريسيوتو كانيدو** في سنة **1923**، وأما الجزء الثاني فقد بقي حيّا مع "**فالونتين دو سان بوان**"، بحيث أنها قد حاولت زرع الفكرة شرق المتوسّط أثناء انتقالها للعيش في مصر إلا أن الفكرة قد فقدت آمالها في التحقّق على أرض الواقع بعد موتها في سنة **1953**[1].

نشأة مبادرة الإتحاد من أجل المتوسّط تعود للمهندس الحقيقي والأول للفكرة وهو المستشار الشخصي للرئيس الفرنسي السابق "**هنري قينو**" "**Henri GUAINO**"، والمكلّف بإعداد الخطابات الرسمية، فالفكرة إذن وليدة إبداع قلم المستشار الرئاسي في الخطاب الذي أعدّه بمناسبة الحملة الإنتخابية، وسرعان ما أصبحت الفكرة موضوعا هامّا ومشوّقا بالنسبة للرئيس الفرنسي في خطاباته أثناء الحملة الإنتخابية للرئاسيات، وطرح المشروع لأول مرة في يوم: **07 فيفري 2007**، وذلك في مدينة "**طولون**" "**TOULON**" الفرنسية في المقولة التالية والتي صرّح بها الرئيس الفرنسي آنذاك "**نيكولا ساركوزي**": "**لقد جئت لأقول للفرنسيين بأن مستقبلهم الحقيقي يلعب هنا في منطقة المتوسّط**".

لقد جاءت هذه العبارة في خضم الحديث عن واقع مسار برشلونة الذي وصل إلى مرحلة الإنسداد، وقد عبّر الرئيس الفرنسي عن إصراره على تجسيد فكرة الإتحاد المتوسّطي من خلال خطابه الرئاسي الأول عشية فوزه في الإنتخابات الرئاسية في شهر ماي من سنة **2007**، ففي **23 أكتوبر** وبالضبط من مدينة "**طانجة**" المغربية فقد طلب الرئيس الفرنسي آنذاك رسميا من شعوب المتوسّط بأن: "**تتّحد معا حول أكبر وأجمل الأفكار الإنسانية**"، ولقد أراد الرئيس الفرنسي من هذه الفكرة أن يكوّن إطارا إندماجيا حقيقياعلى غرار الإتحاد الأوروبي، وتعهّد كذلك بأن يكرّس كامل جهوده لتحقيق هذه المبادرة الطموحة.

ومباشرة بعد الخطاب الرسمي الذي ألقاه الرئيس الفرنسي آنذاك "**نيكولا ساركوزي**" في **طانجة**، ودعوته للدول المتوسّطية إلى الإتحاد من أجل تحقيق هذه المبادرة – المعبّرة عن حلم الرئيس الفرنسي – فقد عبّرت معظم العواصم الأوروبية عن حذرها وتحفّظها تجاه هذه المبادرة الفرنسية، وذلك لكون صيغة هذه الأخيرة حسب البرلمان الأوروبي تؤكّد فشل ونهاية مسار برشلونة وتهمّش في الآن نفسه الجهود الأوروبية المشتركة[2].

لخّصت ألمانيا من خلال سيّدتها الأولى آنذاك "**أنجيلا ميركل**" التخوّفات الأوروبية من هذا المشروع، وقد عبّرت عن شكوكها في رغبة فرنسا أن تلعب دور "**الفارس الوحيد**" لتوسيع نفوذ فرنسا نحو الجنوب، وأمام هذه التصريحات والتردّد الأوروبي في دعم واتباع هذا المشروع فقد فتح الرئيس الفرنسي محادثات تفاوضية مع الرئيسة الألمانية – التي تقود الكتلة الأوروبية المتردّدة تجاه المبادرة – بهدف الوصول إلى أرضية وفاق حول مشروع الإتحاد المتوسّطي، وتوصّلت المستشارة الألمانية "**أنجيلا ميركل**" في **08 مارس 2008** إلى تعديل صيغة المشروع الفرنسي بصفة تخدم أوروبا الموحدة، بحيث أنه تمّ تحويل صياغة المشروع من "**الإتحاد**

المتوسّطي" إلى صيغة أشمل وأنسب وهي "**مسار برشلونة: الإتحاد من أجل المتوسّط**"[3]، والصيغة الجديدة تعتبر أكثر واقعية وأكثر قابلية للتطبيق في إطار الإستمرارية للجهود المبذولة في المتوسّط منذ سنة **1995**.

الأمر يتعلّق بضرورة تجاوز الإطار السياسي إلى الإطار التطبيقي والميداني للمشروع، كون السبب الأساسي المعيق لمسار برشلونة وما جاء بعده هو عدم تطابق السياسات المتّخذة مع الواقع الميداني ممّا أعاق تطبيق هذه السياسات والمبادرات المعتمدة في منطقة المتوسّط شاملة أو في غرب المتوسّط.

1.2 مؤتمر الإتحاد من أجل المتوسّط:

لقد عادت فكرة المتوسّطية مؤخّرا لتشكّل اهتماما دوليا وإقليميا كبيرا، ولتضمّ معا – مرة أخرى – الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسّط وغير المطلة عليه والمعنية بسلامته وأمنه، ومن خلال المبادرة الجديدة "**الإتحاد من أجل المتوسّط**" والتي تعبّر عن محاولة جديدة لإعادة زرع الثقة والوفاق بين الدول المعنية بالمبادرة، وفيما يخصّ دوافع طرح المبادرة الجديدة فهي ليست بعيدة عن الأسباب التي ألفناها في المبادرات التي سبقتها، بداية بمسار برشلونة ومرورا بمبادرة "**منتدى 5 + 5**"، بحيث نجدها مرتبطة بالتغيّرات الدولية الجديدة التي تستوجب إيجاد سبل كفيلة بمراجعة نقائص المشاريع المتوسّطية السابقة وتحقيق الهدف المنشود ألا وهو تحقيق الأمن والإستقرار في منطقة المتوسّط، ونذكر من بين أهمّ دوافع إنشاء المبادرة الجديدة:

- الشّلل الذي أصاب مسار برشلونة للشراكة الأورومتوسّطية: ويعتبر سببا هاما لضرورة البحث عن إيجاد صيغة جديدة لبعث وإحياء الفكرة المتوسّطية وتنشيطها، بحيث نسجّل الإصرار الأوروبي عموما والألماني خصوصاعلى طرح

المشروع المتوسّطي الجديد في إطار الإستمرارية مع مسار برشلونة، ممّا يعد عرفانا بالجهود المبذولة سابقا، وذلك رغم فشلها في الوصول إلى تحقيق الأهداف المرادة؛

- الأزمات والنزاعات التي تعرفها منطقة المتوسّط تعتبر هاجسا يهدم كل جهود الشراكة والتعاون في المنطقة: فالإنسداد الذي تعرفه الأوضاع في الشرق الأوسط يعدّ من الأسباب جدّ الهامة لخلق مبادرة جديدة تزيد من تفعيل دور الإتحاد الأوروبي، وذلك عن طريق إعطاء أوروبا دورا إقليميا أكبر في قضايا المتوسّط، ممّا قد يساعد على الوصول إلى تحقيق حلّ نهائي ومرضي لأطراف النزاع، وذلك عن طريق تكثيف الجهود لدعم مسار السلام في منطقة الشرق الأوسط، علما أن قضية الصراع العربي الإسرائيلي هي حجرة العثرة الأساسية أمام كل مشاريع الشراكة الأورومتوسّطية، أضف إلى ذلك قضية الصحراء الغربية التي تعتبر آخر مثال أو شكل من أشكال تصفية الإستعمار في القرن الواحد والعشرين **(21)**، وما يترتّب عن احتلال المغرب للأراضي الصحراوية من توتّر في العلاقات المغاربية، الأمر الذي يعكّر ويجمّد جهود التعاون، سواء كان هذا التعاون أفقيا (بين دول الجنوب فيما بينها) أوعموديا (في إطار العلاقة التي تربط أوروبا بدول جنوب المتوسّط)؛
- تعتبر قضية الأمن من أبرز دوافع خلق إطار جديد للتعامل مع الظواهر المؤثّرة على أمن واستقرار منطقة المتوسّط، حيث أصبحت هذه الأخيرة تعرف أكثر من أيّ وقت مضى تأزّما كبيرا من جرّاء مشاكل عدة مهدّدة للدول الأوروبية، مثل مشكلة الهجرة غير الشرعية الكثيفة والمتفاقمة ومشكلة الأصولية أو ما سمّي بـ: "**الإرهاب المتوسّطيّ**"، وكذا المخدّرات وما ينتج عنها من جريمة منظّمة عابرة للحدود.

1.1.2 خصائص المؤتمر من حيث المشاركة:

افتتح الرئيس الفرنسي الأسبق "**نيكولا ساركوزي**" يوم: الأحد **13 جويلية 2008** أشغال القمة التأسيسية للإتحاد من أجل المتوسّط، وذلك بحضور أكثر من أربعين **(40)** رئيس دولة أو حكومة أوروبية إضافة إلى قادة من دول الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسّط بمتحف "**القصر الكبير**" في العاصمة **باريس**، ومن خلال تلك القمة يسعى "**ساركوزي**" إلى إنشاء اتحاد أوروبي – عربي يتكوّن من **44** عضوا منهم الأعضاء السبعة والعشرون **(27)** في الإتحاد الأوروبي، وعشرة **(10)** أعضاء من الجنوب من بينهم: الجزائر، مصر، الأردن، لبنان، المغرب، موريتانيا، سوريا، تونس، تركيا والسلطة الفلسطينية، إضافة إلى كل من: ألبانيا، كرواتيا، البوسنة والهرسك، مونتينيجرو(الجبل الأسود)، موناكو والكيان الإسرائيلي، وما يميّز هذه القمة هو حضور الرئيس السوري "**بشار الأسد**"، الذي يقوم في **باريس** بعودة كبيرة إلى الساحة الدولية بعد سنوات من العزلة، وما يميّز القمة التأسيسية كذلك مشاركة رئيس وزراء الكيان الإسرائيلي سابقا "**إيهود أولمرت**"، ومقاطعة الزعيم الليبي الراحل العقيد "**معمّر القذّافي**" للقمة واصفا المشروع بأنه "**مخيف وهزلي**" كونه يدفع الدول العربية إلى الإعتراف بالكيان الإسرائيلي، كما غاب عن القمة العاهل المغربي الملك "**محمد السادس**" الذي مثّله شقيقه "**مولاي رشيد**".

وقد بذل "**ساركوزي**" جهودا كبيرة من أجل مشاركة جميع القادة العرب ومنهم الرئيس السوري "**بشار الأسد**" والرئيس الجزائري الراحل "**عبد العزيز بوتفليقة**" ورئيس السلطة الفلسطينية "**محمود عباس**" في القاعة نفسها وحول طاولة واحدة مع رئيس وزراء الكيان الإسرائيلي سابقا "**إيهود أولمرت**"، حتى أن رئيس الوزراء التركي حينها "**رجب طيّب أردوجان**" الذي كانت مشاركته غير مؤكّدة قد قرّر الحضور بالرغم من أن بلاده كانت تخشى أن تؤثّر هذه المبادرة على طلب انضمامها إلى الإتحاد الأوروبي[4].

يمكن تقسيم خريطة الدول المعنية بمشروع الإتحاد من أجل المتوسّط، والتي يصل عددها الإجمالي إلى أربع وأربعين **(44)** دولة، حسب انتمائاتها (رغم امتناع بعضها عن المشاركة) إلى ثلاثة **(3)** أقسام هي[5]:

– **الدول المتوسّطية الشمالية:** وهي بدورها تنقسم إلى ثلاث **(3)**:

- الدول الأعضاء في الإتحاد الأوروبي: وهي كالتالي: إسبانيا، فرنسا، إيطاليا، اليونان وقبرص.
- الدول المرشحة للإنضمام إلى الإتحاد الأوروبي: وهما تركيا وكرواتيا.
- الدول غير العضوة في الإتحاد الأوروبي: وهي كالآتي: البوسنة، مونتينيجرو (الجبل الأسود) وألبانيا.

– **الدول المتوسّطية الجنوبية:** وهي كالتالي: الجزائر، الصحراء الغربية، المغرب، تونس، ليبيا، مصر، السلطة الفلسطينية، لبنان، سوريا والكيان الإسرائيلي.

– **الدول غير المتوسّطية:** وهي كالآتي: موريطانيا، الأردن، البرتغال، إيرلندا، إنجلترا، الأراضي المنخفضة (هولندا)، بلجيكا، لوكسمبورغ، الدنمارك، السويد، فنلندا، إستونيا، ليتوانيا، بولونيا، جمهورية التشيك، سلوفاكيا، النمسا، سلوفينيا، رومانيا، بلغاريا والمجر.

يمكننا أن نقول من خلال الملاحظة الأولى أن هناك تباينا كبيرا في الحضور والمشاركة الفعلية والفعالة للأطراف في قمة **باريس**، ما بين المشاركة العربية والمشاركة الأوروبية حيث أن مشهد الحضور العربي في العاصمة الفرنسية لا يختلف كثيرا عما كان عليه الحال في قمة **برشلونة**، بحيث اتّسم الجانب العربي بالإنقسام والفرقة والضعف للأسف، والدليل على ذلك هو أن المشاركين قد حضروا إلى باريس من دون أن يتّفقو مسبقا على رؤية مشتركة حيال المشروع، وهذا بفعل ما

تعرفه العلاقات العربية – العربية من توتّر كمثل العلاقات السورية – المصرية، والجزائرية – المغربية، ممّا يشكّك في إمكانية أن يسفر المشروع المتوسّطي الجديد عن نتائج ملموسة للجانب العربي.

في المقابل نجد أن الجانب الأوروبي قد اتجه إلى القمة الباريسية باتفاق مسبق وموحّد نابع من المفاوضات والمشاورات المكثّفة – خاصة بين القطبين الأوروبيّين ألمانيا وفرنسا – حول الصيغة الأفضل والأنسب للمشروع، بحيث يصل إلى احتمال تحقّق القدر الأكبر من المنفعة، ولذا فقد عبّر الجانب الأوروبي عن ترحيبه بمشروع الإتحاد من أجل المتوسّط، وذلك من خلال المفوّضية الأوروبية للعلاقات الخارجية لأن هذه المبادرة الجديدة ستعمل على "**تفعيل**" عملية ومسار برشلونة كمبادرة أوروبية ممّا سيتيح الفرصة لحل بعض المشاكل المتوسّطية العالقة، وكذلك نلاحظ عدم وجود توازن في المشاركة كون العرب عددهم ثماني **(08)** دول هي: مصر، سوريا، لبنان، الأردن، فلسطين، تونس، الجزائر والمغرب، مقابل أربع وثلاثين **(34)** دولة أوروبية.

2.1.2 خصائص المؤتمر من حيث المحتوى:

جرت أشغال القمة التأسيسية للإتحاد من أجل المتوسّط في جلسة عامة مغلقة، وتشارك في رئاسة القمة كلّ من الرئيس الفرنسي "**نيكولا ساركوزي**" والرئيس المصري الراحل "**حسني مبارك**"، وفي كلمته الإفتتاحية فقد أكّد الرئيس الفرنسي أنّ "الوقت قد حان كي يدفع التضامن القائم بموجب الجغرافيا والتاريخ والثقافة كل شعوب أوروبا ودول حوض المتوسّط إلى تقاسم المسؤوليات والإتفاق على إقرار حقوق وواجبات عادلة لكل طرف"، وأضاف: "لن ننجح في بناء مستقبل أحسن إلا من خلال تقاسم السلطة في ظل التضامن الفعّال واحترام الآخر"، كما أكّد أنّ "الطريقة الجديدة في تصوّر العلاقات بين شعوب أوروبا والمتوسّط ستتميّز بالرئاسة

المشتركة للإتحاد من أجل المتوسّط، والتي ستجمع بين بلد من الشمال وبلد من الجنوب"، وأبرز كذلك ضرورة "الحفاظ على ما حقّقه مسار برشلونة"[6].

خرج وزراء خارجية دول "**القمة الأورومتوسّطية**" من اجتماعهم بـ: "الإعلان المشترك للقمة الأولى التأسيسية لمسار برشلونة: الإتحاد من أجل المتوسّط"، والمكوّن من عشر **(10)** صفحات باللغة الإنجليزية على أن ينشر كذلك باللغتين الفرنسية والعربية، ويتشكّل الإعلان من مقدمة وثلاثة وثلاثين **(33)** فقرة من بينها الخلاصة (الفقرتان **32** و**33**) وملحق من صفحتين **(02)** يتضمّن ستة **(06)** مشاريع[7].

تتعلّق هذه المشاريع الستة **(06)** المقترحة من قبل القمة التأسيسية والتي سيتمّ العمل على تحقيقها حسب القمة في أقرب وقت ممكن كما يلي:

- تنقية مياه البحر الأبيض المتوسّط؛
- بناء طرق سريعة برية وبحرية تسهّل تنقّل الأشخاص والبضائع بين الدول المتوسّطية؛
- العمل المشترك على إنشاء حماية مدنية ضدّ الكوارث الطبيعية؛
- إقامة برنامج للطاقة الشمسية؛
- العمل على تنمية المؤسسات الإقتصادية للدول العضوة؛
- إنشاء جامعة أورومتوسّطية[8].

تنصّ مقدمة إعلان قمة باريس على أنّ رؤساء الدول المشاركة يتشاركون في قناعة إمكانية تحويل المتوسّط إلى بحيرة سلام وديمقراطية وازدهار ممّا يتطلّب جهدا وعزما كبيرين، وقد أكّد البيان على التسمية الرسمية للإتحاد الجديد: "**مسار برشلونة: الإتحاد من أجل المتوسّط**"، والقائم على مكتسبات مسار برشلونة والتأكيد على طابع الشراكة متعدّدة الأطراف والهادفة إلى زيادة قدرات الإندماج والإنسجام الإقليميّين

والذي يضمّ كل الدول الأعضاء في الإتحاد الأوروبي والمفوّضية الأوروبية والدول الأعضاء والدول ذات صفة مراقب في مسار برشلونة، وقد عبّر الإعلان على أنّ "**الهدف المشترك**" للإتحاد الجديد هو بناء مستقبل سلام وديمقراطية وازدهار وتفاهم على المستويات الإنسانية والإجتماعية والثقافية، مبرزا كذلك أنّ الإتحاد هو طموح إستراتيجي مشترك للتعاطي مع التحدّيات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والبيئية للمنطقة، وهدفه هو تحقيق السلام والنمو الإقتصادي ومحاربة الفقر وحماية البيئة والتغيّرات المناخية ومحاربة ظاهرة الإرهاب[9].

وبخصوص طريقة عمل الإتحاد من أجل المتوسّط فقد أكّد بيان باريس على مبدأ قمة تعقد كلّ عامين بالتناوب بين البلدان الأوروبية والمتوسّطية واجتماع لوزراء الخارجية كلّ عام، وستعقد القمة الثانية في القاهرة عام **2010**، كما تمّ تبنّي مبدأ "**الإجماع**" في قرارات القمة، والدعوة إلى قمم الإتحاد يجب أن تشمل كلّ الدول الأعضاء[10]، واختيار الرئيس من الجانب المتوسّطي يجب أن يتمّ بالإجماع مع احترام مبدأ التناوب على الرئاسة، وإعداد النص يكون عبر "**لجنة مشتركة ودائمة**" تتمثّل فيها المفوضية الأوروبية وجميع الدول الأعضاء ويكون مقرّها في "**بروكسل**"، وأما حول مسألة الأمانة العامة فما زالت الخلافات حولها كثيرة، ووفق النص فإنّ الأمين العام يجب أن ينتمي إلى جهة (أوروبا مثلا)، بينما ينتمي الأمين العام المساعد إلى جهة أخرى (متوسّطية) أو العكس، ويذكر نص الإعلان أن ما يخصّ التفاصيل الخاصة بالأمانة العامة سيقرّها وزراء خارجية الإتحاد في اجتماعهم في شهر نوفمبر القادم[11]، فالإجتماع القادم سيخوّل له وضع الجانب القانوني للإتحاد وكذلك تكليف الأمانة العامة الدائمة بالمهام التي ستوكّل لها، كما ستتمّ خلال نفس الإجتماع دراسة كلّ المشاريع بطريقة مفصّلة حتى تصبح قابلة للتحقيق ولكي تتماشى والموارد المالية المخصّصة لها[12].

لقد أكّد البيان الختاميّ لقمة الإتحاد من أجل المتوسّط على مبادئ مسار برشلونة بحيث أنّ إعلان القمة التأسيسية للإتحاد الجديد قد جاء بتصريحات شبيهة للتي وردت في إعلان برشلونة (كونها لم تخرج عن المحاور الثلاثة: الأمنية، الإقتصادية والثقافية، وعن طرح الإنشغالات نفسها)، ولقد تمّت المصادقة على البيان الختاميّ لتأسيس الإتحاد من أجل المتوسّط بالأغلبية، وتقرّر أن تكون الجامعة العربية حاضرة في جميع قمم الإتحاد، وهو ما سيساعد كثيرا في وضع عقد أورومتوسّطي من شأنه أن يساهم في مسار عملية السلام في الشرق الأوسط[13].

دعا البيان الختاميّ رؤساء الدول والحكومات المشاركين إلى العمل على ضمان مستقبل أفضل لشعوب البحر الأبيض المتوسّط، وتحسين النمو الإقتصادي والتضامن والتكامل الإقليمي والتنمية المستدامة والمعرفة، والتعهّد بزيادة التعاون في مجالات عدة مثل: تنمية الأعمال التجارية، تنمية البيئة والطاقة، إدارة المياه والزراعة والأغذية والسلامة والأمن والتنقّل والقضايا البحرية، التعلّم والثقافة والعدالة والهجرة والصحة والحماية المدنية، تخطيط المدن والتعاون اللامركزي، ونشير إلى أنه قد تمّ تأجيل كلّ النقاشات المتعلّقة بمسألة حقوق الإنسان[14] في قمة باريس التأسيسية، إلا أنه قد تمّت الإشارة إلى تأسيس جمعية برلمانية أورومتوسّطية[15].

2.2 أهداف الإتحاد من أجل المتوسّط:

المشروع الجديد هو مشروع رائد بطموحاته وأهدافه بحيث أنه قد عبّر عن اهتمامه بتطوير اقتصاديات الدول الأعضاء في الإتحاد، وخاصة دول جنوب حوض البحر الأبيض المتوسّط، والعمل على تشجيع التبادل العلمي والثقافي بين دول شمال الحوض وجنوبه، ممّا قد يفسح المجال أمام إقامة حوار بين الحضارات، كما قدّم هذا المشروع توصيات حول تنظيم الهجرة ومكافحة الإرهاب، وتأمين الطاقة والموارد المائية، وأبدى كذلك اهتمامه بالبيئة، خصوصا بيئة وسلامة مياه البحر الأبيض

المتوسّط، وإقامة شبكة مواصلات وطرق للنقل، كما تدعّم هذه التوصيات الأمن الوطني والسلام والإستقرار في المنطقة، وتكرّس مبادئ الحرية وحقوق الإنسان، وإرساء معالم وملامح الديمقراطية في دول تلك المنطقة[16]، لكن البعض يرى أنّ الهدف الأهم من هذا المشروع هو إدماج الكيان الإسرائيلي في الفضاء المتوسّطي.

إن قيادة فرنسا لمشروع كبير بهذا الحجم يجمع بين دول شمال حوض المتوسّط وجنوبه، ويعمّق البعد الإستراتيجي لأوروبا في المنطقة، ويعني إعلان المنافسة مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية ونفوذها، هذا التنافس حتما لن يعجب الولايات المتحدة الأمريكية التي ستحاول التدخّل في تفاصيل المبادرة الجديدة لتشكّل عنصر شقاق من أجل محاولة التحكّم فيها قبل أن تتحوّل إلى قطب جذب هامّ، يخدم مصالح الإتحاد الأوروبي من خلال إعطائه وزنا إضافيا في المعادلة الإستراتيجية، ومن جهة ثانية فمبادرة الإتحاد من أجل المتوسّط تعتبر امتدادا لمسار برشلونة الذي لم ينجح في تحقيق الأهداف المسطّرة له، وهو الأمر الذي أدى إلى إيجاد مبادرات تعمل على إعادة إحياء المسار بإنشاء مسار جديد يحقّق الإستمرارية والأهداف المنشودة.

الإتحاد الجديد له طموحات كبيرة تعكس أهدافه وإيجابياته، وفي المقابل وحسب المحلّلين فإنه يواجه تحدّيات وعراقيلا عدة مما يثير الشكوك حول إمكانية نجاحه.

3.2 التحديات والعوائق التي تواجه الإتحاد من أجل المتوسّط:

يواجه الإتحاد الجديد من أجل المتوسّط تحدّيات عدة ممّا يثير الشكوك حول إمكانية نجاح مساره، وتحقيق الأهداف التي رسمت له، ومن بين أهم هذه التحديات والعراقيل نذكر:

– أن الإتحاد الجديد مازال أمام هاجس الثنائية (شمال – جنوب) وبمعنى آخر ثنائية الغني والفقير، فالإتحاد يجمع ما بين ضفّتين متمايزتين: دول أوروبية منسجمة مع بعضها في استراتيجياتها الساعية إلى تحقيق مصالحها بشكل عام، والمشكّلة للمحور القوي في هذا الإتحاد، ودول الجنوب غير المتجانسة أصلا فيما بينها حول الرّؤى والمصالح والأهداف، بحيث أنّ لكل واحدة منها: خصائصها، إستراتيجياتها وطموحاتها، وهي تشكّل المحور الضعيف في معادلة الشراكة، والأهمّ من هذا هو وجود الكيان الإسرائيلي داخل هذا الإتحاد، وهو ما يعني وجود عنصر الإنشقاق، إن الصّراع العربي الإسرائيلي سيشكّل – وكما كان في التجارب السابقة – الخلاف الأساسي بين دول الإتحاد، كونه العقبة الأساسية الواقفة أمام نجاح مسار الإتحاد، بالإضافة إلى صعوبة تحقيق الأمن والسلام في المنطقة بين دول في حالة حرب غير معلنة مع بعضها البعض[17](رفض الدول العربية التطبيع مع الكيان الإسرائيلي)، دون أن ننسى التوتّرات القائمة ما بين الدول الأعضاء في هذا الإتحاد، مثل الخلاف الجزائري المغربي حول قضية الصحراء الغربية، والخلاف المغربي الإسباني حول مدينتي "**سبتة**" و"**مليلية**"، والتشنّج السوري اللبناني جرّاء الوضع السياسي الداخلي في لبنان وغيرها من النزاعات التي قد تشكّل محاورا لانشقاق داخلي في جسد هذا المولود الجديد وقد تهدّد كيانه ونموّه؛

– أن دول جنوب حوض المتوسّط ترتبط بعضويتها في اتحادات ومجالس أخرى كالإتحاد الإفريقي ومجلس الجامعة العربية، وانضمام هذه الدول إلى اتحاد جديد قد يؤدّي على الأقل إلى انشغالها عنها[18]، وقد يؤدّي إلى إقصاء وتهميش الدول الأخرى العضوة في تلك الإتحادات، والتي لم تتم دعوتها للمشاركة في عضوية الإتحاد الجديد بسبب موقعها الجغرافي خارج منطقة الحوض المتوسّطيّ، وهذا الهاجس لا يشمل دول جنوب البحر الأبيض المتوسّط فقط، بل يشمل دول الشمال

المتوسّطيّ أيضا، فالإتحاد الأوروبي لم يكتم مخاوفه من انسلاخ دول الجنوب الأوروبي من التزامات الإتحاد الأوروبي وانشغالها باندماجها في الإتحاد المتوسّطيّ الجديد، وعلى أساس هذه المخاوف فقد كانت المطالبة بتحويل تسمية الإتحاد الجديد من "**الإتحاد المتوسّطيّ**" إلى "**الإتحاد من أجل المتوسّط**" لكي تستبعد نقاط التشابه مع الإتحاد الأوروبي من جهة، ومن جهة أخرى فقد دعا الإتحاد الأوروبي إلى مشاركة كافة دول الإتحاد (**27**) في عضوية الإتحاد الجديد[19]، وذلك كي لا يبقى مقتصرا على الدول الأوروبية الواقعة في شمال حوض المتوسّط، ممّا قد يحدث تمزّقا في النسيج الأوروبي الموحّد من خلال اندماج بعض أعضائه في الإتحاد الجديد دون الأعضاء الآخرين، إنّ هذا الهاجس قد تمكّنت دول شمال الحوض المتوسّطيّ من معالجته دون أن تتوصّل دول الجنوب من جهتها إلى هذا المستوى من التنسيق والتوافق من أجل مصالحها المشتركة؛

– من أهمّ المصاعب التي تواجه المشروع المتوسّطي الجديد – مثل التجارب السابقة – مشكلة وضع المشروع حيّز التطبيق، فعلى سبيل المثال فقد خصّصت في إطار مسار برشلونة (برنامج "**ميدا**") مبالغا مادية ضخمة من أجل تمويل المشاريع الإقتصادية في دول جنوب الحوض المتوسّطيّ، إلا أنّ هذه المبالغ لم تر النور أبدا؛

– أن أوروبا اليوم أمام مشاكل مادية بسبب الإرتفاع الحاصل في أسعار مصادر الطاقة، وهذا ما سيثير التساؤلات حول إمكانية توفير مبالغ مادية جديدة لتمويل مشروع الإتحاد من أجل المتوسّط، وكان الرئيس الفرنسي الأسبق **نيكولا ساركوزي** قد وعد بما يعادل **14 مليار** أورو، والمزمع صرفها على برامج المبادرة الجديدة، وفي ظل الظروف الصعبة يرفض الإتحاد الأوروبي أن يكون بمثابة "**البقرة الحلوب**"، ولذا فقد أبدت الدول الأوروبية تحفّظاتها بخصوص مسألة التمويل كون هذه المبادرة تحتاج إلى تمويلات ضخمة.

خاتمة:

للأمن أهمية بالغة واستراتيجية خاصة حين يقترن هذا المفهوم بمنطقة من أكثر المناطق حساسية وتعرضا للتوترات والأزمات الدولية في العالم، كما هو الحال بمنطقة حوض المتوسّط التي تعرف بالإستراتيجية لموقعها، مما يؤكّد أهمية وضرورة توفير عنصر الأمن فيها، وهو الأمر الذي ارتبط ببروز استراتيجيات عدة مرتبطة بقضايا وبأمن المتوسّط باختلاف الأطراف المعنية والمهتمة به، منها الأوروبية والأمريكية، وأن اصطدام المبادرات الأمريكية المنافسة لمشروع الشراكة الأورومتوسطية كمبادرة "**إيزنستات**" المقترحة لبرامج إستثمارية لدول المغرب العربي بقيمة **مليارِي (02)** دولار ومن بينها **مليار ونصف (1,5)** موجهة للجزائر وحدها باعتبارها دولة محورية وذات وزن إقليمي، وكذلك مبادرة الشرق الأوسط الكبير للرئيس الأمريكي "**جورج بوش الإبن**"، والهادفة لإقامة منطقة تجارة حرة مع دول الشرق الأوسط، والتي تؤكّد استمرارية الصراع حول احتواء المنطقة وكذا استمرار الإهتمام والتواجد الأمريكي في المتوسّط، ومن جانب آخر فيؤكّد تواجد الأسطول السادس الأمريكي في حوض المتوسّط على استحالة معالجة قضايا الأمن في أي منطقة دون أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية طرفا فيها سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة، خاصة بعدما فرضته أحداث **11 سبتمبر 2001** من تحوّل كبير في طبيعة العلاقات الدولية، وهو الأمر الذي أثّر سلبا على المبادرات الأوروبية في منطقة المتوسّط، خاصة المرتبطة منها بالمجال الأمني.

إن علاقات الشراكة الأورومتوسّطية هي وسيلة لتدعيم التعاون لصالح الطرفين؛ إلا أنها في شكلها الحالي تعبّر بدرجة أكبر على نوع من هيمنة الدول الأوروبية وعلى تبعية دول جنوب المتوسّط، كون طبيعة العلاقات بين الدول المتوسّطية خاصة الإقتصادية منها هي ذات طبيعة غير عادلة وغير متكافئة، وهي

لصالح الدول الأوروبية على حساب الدول المتوسّطية الجنوبية، بحيث أن هذه العلاقات تشكّل نوعا من الإمتداد للعلاقات ذات الطابع الإستعماري، ممّا جعل منها مانعا لإحداث التطوّر والتنمية في جنوب المتوسّط، وعرقل محاولات التكامل الأفقي بين الدول الجنوبية فيما بينها، والدليل على ذلك هو الجمود الذي يعرفه مشروع اتّحاد المغرب العربي، فسياسة إبرام الإتفاقيات بين الإتحاد الأوروبي وبعض الدول المغاربية بشكل إنفرادي قد أثّرت سلبيا على إيجاد نوع من الإتصالات والتشاور الدائم بين بلدان المنطقة، وقد أفرزت سياسات إنتاجية وتسويقية قطرية جعلت هذه البلدان تتنافس فيما بينها بدلا من أن تتكامل، والشراكة الأورومتوسّطية في ظلّ الظروف العالمية والتكتّلات الإقتصادية الدولية الراهنة قد أصبحت هدفا إستراتيجيا يخدم الدول المتوسّطية بنسب متفاوتة بل ويخدم أكثر وبالدرجة الأولى الدول الأوروبية.

المراجع:

[1] Fawzia ZOUARI, **il ya un siècle déjà ...**, Jeune Afrique, 48e Année, N°: 2478, Du: 06 au 12 juillet 2008, P 27.

[2] Pascal Airault, L'UMP en questions, Jeune Afrique, 48e Année, N°: 2478, Du: 06 au 12 juillet 2008, P 24.

– كذلك: السيد ولد أباه، الإتّحاد المتوسّطي: الطموح والإمكان، الشرق الأوسط، العدد 10790، بتاريخ: 2008/06/13، ص 14.

[3] Pascal Airault, Opcit. أنظر بهذا الصدد:

George Corm, Foire d'empoigne autour de la Méditerranée, LE MONDE diplomatique, N°: 652, Juillet 2008.

[4] الأعداء والأصدقاء على طاولة واحدة، في: Http://www.moheet.com

[5] Samir GHARBI, L'Union pour la Méditerranée dans tous ses Etats, Jeune Afrique, 48e Année, N°: 2478, Du: 06 au 12 juillet 2008, P - P (34 - 35).

[6] ربيع. م، ساركوزي يدعو إلى تضافر الجهود لإنجاح الإتحاد من أجل المتوسّط، أخبار اليوم، العدد 387، الإثنين 14 جويلية 2008، ص 3.

[7] ميشال أبو نجم، الإتحاد من أجل المتوسّط يبني مستقبلا مشتركا للدول المشاركة بالإجماع، الشرق الأوسط، العدد 10816، 09 جويلية 2008، ص 11.

[8] عثمان طايبي، ساركوزي يصف قمة باريس بالناجحة ومبارك يصرّح: دول عربية تريد إقامة علاقات عادية مع إسرائيل، الخبر، العدد 5372، الإثنين 14 جويلية 2008، ص2.

[9] ميشال أبو نجم، مرجع سابق.

[10] تحاشيا لاستبعاد الكيان الإسرائيلي من قمة قد تعقد مستقبلا في بلد عربي.

[11] نفس المرجع السابق.

[12] عثمان طايبي، إجتماع نوفمبر سيحدّد المفاهيم الأساسية ودراسة أدقّ للمشاريع، الخبر، العدد 5372، الإثنين 14 جويلية 2008، ص 3.

[13] A.M.A, Déclaration finale: Confirmation des principes du processus de Barcelone, EL MOUDJAHID, N°: 13329, Lundi 14 juillet 2008, P7

[14] فالأمر متعلّق بالدرجة الأولى بضرورة إنجاح القمة التأسيسية.

[15] عثمان لحياني، إعتماد خمسة (05) مصادر للتمويل وتأجيل النقاش بشأن حقوق الإنسان، في مشروع البيان الختامي، الخبر، العدد 5371، الإثنين 13 جويلية 2008، ص 3.

[16] المرجع نفسه. أنظر كذلك: ميشال أبو نجم، مرجع سابق.

[17] السيد ولد أباه، مرجع سابق.

[18] شنّ الرئيس الليبي الراحل "معمّر القذافي" أثناء استضافته للقمة المغاربية المصغّرة في طرابلس في: 2008/06/10 والتي ضمّت رؤساء كلّ من: موريطانيا، سوريا، تونس، الجزائر ورئيس الوزراء المغربي، هجوما على مشروع الرئيس "نيكولا ساركوزي" واصفا إياه بـ: "المشروع المشتّت"، والذي سيقسّم العرب إلى ثلاثة (03) أجزاء: جزء متوسّطي، جزء إفريقي وجزء آسيوي.

[19] خالد محمود، سوسن أبو حسين، القذافي مهاجما "الإتحاد المتوسّطيّ": لسنا جياعا والمشروع سيقسّم العرب إلى ثلاثة أجزاء، الشرق الأوسط، العدد 10788، 11 جوان 2008، ص 12. أنظر كذلك:

Chérif OUAZANI, Union pour la Méditerranée: Une menace pour l'Afrique?, Jeune Afrique, 48e Année, N°: 2478, Du: 06 au 12 juillet 2008, P 27.